رعاية المعاقين بين الشرائع السماوية

منشورات

الجمعية النسائية بجامعة أسيوط للتنمية

بالتعاون مع

مركز خدمات المنظمات غير الحكومية

منتدى التجمع المعني بحقوق المعاق

الإصدار الأول للمنتدى

أمين عام المنتدى الأستاذة الدكتورة/ علية حماد الحسيني
مدير المنتدى الأستاذ / محمود أحمد العادلى
مسئول الأنشطة الأستاذة / نيفين عبدالفتاح توفيق

المحتويات :

- المقدمة
- الاعاقة والمعوقون واحتياجاتهم
- نظرة إلى المعاق في الشريعة الإسلامية
- بعض مبادئ الإسلام في النظر إلى ذوي الاحتياجات الخاصة
- رعاية المعاقين في الإسلام
- حكم العناية بالمعاقين في الإسلام
- بعض نماذج معاملة ورعاية المعاقين في الإسلام
- رعاية المعاقين في المسيحية
- مبادئ رعاية المعاقين في اليهودية
- نظرة على معاملة المعاقين في ظل التشريعات الوضعية
- المراجـــع

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم. وبه نستعين. والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد النبي الهادي الأمين، وعلى آله وصحبه والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

خلق الله ﷻ الخلق وقدَّره، "**إِنَّا كُلَّ شَيءٍ خَلَقنَاهُ بِقَدَرٍ**"، وهيأ لخلقه سبل القيام بمهامهم التي خلقوا من أجلها، قال رسول الله ﷺ: "**كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَه**". وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يوجد بين خلقه أشخاص ربما يرى فيهم الناظر نقصاً أو علة، ولكن الحقيقة هي أن كل إنسان يشكل في مجمله بنياناً متكاملاً لا يتفاوت إلا في النسبة بين الظاهر والباطن؛ فإنما يتفاضل الناس بينهم بالظاهر ويتفاضلون عند ربهم بالباطن، قال تعالى: "**إِنَّ أَكرَمَكُم عِندَ اللهِ أَتقَاكُم**" والتقوى محلها القلب. ومن ثم فقد نهى المشرع الحكيم نهياً عاماً عن أن تتخذ العيوب الخلقية سبباً للتندر أو العيب أو الانتقاص أو التقليل من شأن أصحابها. كما حرم إظهار الشماتة بذوي الابتلاءات، قال رسول الله ﷺ: "**لا تظهر الشماتة لأخيك فيعافيه الله ويبتليك**" (أخرجه الترمذي).

وهذا الكتاب يعالج موضوع الإعاقة ورعاية المعاقين بين الشرائع السماوية، بدءاً بتعريف الإعاقة وأنواعها واحتياجات المعاقين، ومروراً بنظرة الأديان السماوية للمعاقين ورعايتها لهم، وختاماً بنظرة عامة على معاملة المعاقين في ظل التشريعات الوضعية.

الاعاقة والمعاقين واحتياجاتهم

تعريف الإعاقة:

الإعاقة في اللغة تعني التأخير وعدم القدرة والمنع. ويشير مصطلح الإعاقة إلى مشكلات الرفض الاجتماعي بأشكاله المختلفة، بمعنى الدرجات المتنوعة من العقاب وعدم الإثابة التي تتولد عن العجز. أو هي العجز المستمر الذي يسبب عدم القيام بالدور أو الوظيفة العادية للفرد. أو هي النتيجة المجمعة للعوائق والعقبات التي يسببها العجز بحيث تتداخل بين الفرد وأقصى مستوى وظيفي له مما يعطل طاقته الإنتاجية. وهي قياس لمدى الخسارة أو النقص في طاقة الفرد في أي ناحية من النواحي.

تعريف المعاق:

إن المستعرض للمضامين المختلفة التي ينطوي عليها مصطلح "**المعاق**" **(handicapped)** ليجد العديد من المفاهيم والتسميات التي قد تتفق أو تختلف فيما بينها في مدلولاتها ومعانيها، وذلك باختلاف الأماكن والأوساط والمراحل التاريخية التي مرت بها. فقد كانوا في الماضي يطلقون على المعاقين اسم "**العجزة**" **(disabled)**، ثم شاعت بعد ذلك مصطلحات مثل "**المقعدون**" **(crippled)**، و"**الشواذ**" **(abnormal)**، و"**غير العاديين**" **(exceptional)**.

ولكن أكثر التسميات شيوعاً حتى الآن هو "**المعاقون**". ومع ذلك فقد تعددت معاني هذا المصطلح واختلفت فيما بينها. نذكر من بين هذه التعريفات ما يلي:

تعريف ميثاق الثمانينات (1980-1990م) لرعاية المعاقين الصادر عن المؤتمر العالمي الرابع عشر للتأهيل الدولي بكندا:

عرف هذا الميثاق الإعاقة بأنها تقييد أو تحديد لمقدرة الفرد على القيام بواحدة أو أكثر من الوظائف التي تعتبر من المكونات الأساسية للحياة اليومية، مثل القدرة على الاعتناء بالنفس ومزاولة العلاقات الاجتماعية والأنشطة الاقتصادية.

وهكذا يمكننا أن نخلص إلى أن المعاق ليس هو الشخص الذي فقد حاسة أو عضواً أو قدرة أو مهارة أو أكثر. فالمعاق الحقيقي هو الشخص الذي يعجز، وبشكل مستمر، عن القدرة على الإنجاز الناجح وتحقيق الذات وإشباع الحاجات بصورة استقلالية؛ فلا يستطيع أن يعول نفسه أو أن يحيا حياة كريمة.

التعريف الصادر عن منظمة العمل الدولية:

في دستور التأهيل المهني للمعاقين الذي أقره مؤتمر العمل الدولي عام 1955م ما زال سارياً حتى الآن أن مصطلح "**معاق**" معناه: فرد نقصت إمكاناته للحصول على عمل مناسب والاستقرار فيه نقصاً فعلياً نتيجة لعاهة جسمية أو عقلية.

ويعرف قانون تأهيل المعاقين رقم 39 لسنة 1975م المعاق بأنه: كل شخص أصبح غير قادر على الاعتماد على نفسه في مزاولة عمله أو القيام بعمل آخر والاستقرار فيه، ونقصت قدرته على ذلك نتيجة لقصور عضوي أو عقلي أو جسمي.

تصنيفات الإعاقة:

•

لقد اختلفت تصنيفات الإعاقة أيضاً باختلاف العلماء والهيئات التي تصدت لهذه القضية. ولكن أكثر التصنيفات حداثة وشيوعاً هي تلك التي يمكن اشتقاقها من الدراسات والبحوث العلمية في هذا المجال، وذلك مثل دراسات: "كروكشانل" و"جونسون تولبرت" وعبد السلام عبد الغفار. حيث يمكننا تقسيم الإعاقة إلى أربعة فئات رئيسية وذلك على النحو التالي:

1- الإعاقة الجسمية الفيزيائية:

من أمثلتها ذوو العاهات الجسمية الحسية كما تظهر في حالات المقعدين والمكفوفين والصم والبكم وذوي الأمراض المزمنة والاضطرابات.

2- **الإعاقة العقلية:**

تتمثل في حالات التخلف العقلي بدرجاتها المختلفة وصعوبات التعلم.

3- **الإعاقات الانفعالية:**

تتمثل في الاضطرابات والأمراض النفسية والعقلية والانحرافات السلوكية المختلفة كالأعصبة والأذهنة والاضطرابات السيكوسوماتية.

4- الإعاقة الاجتماعية:

تتمثل في الحالات المضادة للمجتمع أو سيئة التوافق الاجتماعي، وذلك مثل الجنوح والإجرام وإدمان المخدرات أو الكحوليات والانحرافات الجنسية[1].

ويرى الدكتور أحمد السعيد يونس أن المعاقين صنفان:

أولاً- المعاقون بدنياً، وينقسمون إلى الفئات التالية:

1- ذوو الأبصار المعاقة بدرجة أو بأخرى.

2- البكم الناتج عن إصابة أجهزة النطق.

3- السمع المعاق وما يرتبط به من العجز عن الكلام.

ثانياً- المعاقون نفسياً وذهنياً، وينقسمون إلى نوعين:

- النوع الأول يعرف باسم "**التخلف العقلي**"، وهو يميز أولئك الأفراد ذوي الأعمار العقلية الأقل من أعمارهم الزمنية.
- النوع الثاني هو ما يعرف بحالات سوء التوافق الوجداني وهم أولئك الأطفال ذوو الاضـــطرابات النفسية المتمثلة في القلق والخوف والانحراف الاجتماعي والتردد والوسوسة[2].

احتياجات المعاقين:

تنقسم احتياجات المعاقين إلى:

1- احتياجات عامة مشتركة بين المعاقين والعاديين.

2- احتياجات خاصة بالمعاقين.

أولاً- الاحتياجات العامة:

1- **الحاجة إلى الأمن:** يقصد بها التحرر من الخوف الذي يشعر به الإنسان متى كان مطمئناً على صحته وعمله ومستقبله وحقوقه ومركزه الاجتماعي. وقد يؤدي الإحباط الشديد لهذه الحالة إلى أن يصبح الشخص متوجساً من كل شيء. ويظهر ذلك في صـــور منهـــا الخجـــل والتـــردد والارتباك.

2- **الحاجة إلى مكانة الذات:** وهي الحاجة إلى المركز والقيمة الاجتماعية والشعور بالعدالة فـــي المعاملة واعتراف الآخرين وتقبلهم له.

3- **الحاجة إلى احترام الذات:** وهي التي تدفع الإنسان إلى صون ذاته والدفاع عنها في كـــل مـــا ينقص من شأنها في نظر نفسه ونظر الآخرين.

ثانياً- الاحتياجات الخاصة بالمعاقين:

تنقسم هذه الاحتياجات إلى:

1- احتياجات صحية وتوجيهية.

2- احتياجات اجتماعية.

3- احتياجات مهنية.

4- احتياجات تشريعية.

أ) - الاحتياجات الصحية والتوجيهية:

تشمل احتياجات بدنية مثل استعادة اللياقة البدنية من خلال الرعاية البدنية التي تشمل كل الخدمات والأنشطة التي تحسن الحالة الخارجية للمعاق، وتتضمن توفير العلاج والأجهزة التعويضية وتقويم الأعضاء، وأية مساعدات وتجهيزات أخرى تساعد المعاق على استعادة واكتساب استقلاله بدنياً.

ب)- الاحتياجات الاجتماعية:

تتمثل الاحتياجات الاجتماعية في الآتي:

1- علاقات توثق صلات المعاق بمجتمعه وتعديل نظرة المجتمع إليه.

2- احتياجات تدعيمية: مثل الخدمات والمساعدات التربوية والمادية والانتقالية، والإعفاءات الضريبية والجمركية، وكلها تمثل تدعيماً للقيم الاجتماعية.

3- احتياجات ثقافية:

مثل توفير الأدوات والوسائل الثقافية وطرق مجالات المعرفة بشتى أنواعها.

ج)- الاحتياجات المهنية:

تتمثل في تهيئة سبل التوجيه المهني المبكر والاستمرار فيه حتى الانتهاء من العملية التأهيلية.

د)- الاحتياجات التشريعية:

مثل إصدار تشريعات في محيط تشغيل المعاقين وتوفير فرص العمل التي تتناسب مع قدراتهم.

الفصل الأول

رعاية المعاق فى الشريعة الإسلامية

نظرة إلى المعاق في الشريعة الإسلامية

يكاد يجمع عموم الدارسين للحضارة الإسلامية على أن إحدى السمات المميزة لها هي صفتها الإنسانية في كيفية التعامل مع الآخرين وعلى كل الأصعدة الاجتماعية والسياسية وغيرها. ولا شك أن المستعرض للفروض الاجتماعية التي أوجبها الشارع الإسلامي الحكيم يتبين له أن هذا التقرير والتشريع للحقوق الاجتماعية، الذي تعتبره الدول الحديثة فتحاً، جديداً ليس إلا ترديداً لما ذهب إليه الإسلام في هذا الخصوص.

وضمن هذا السياق فإن الشريعة الإسلامية لا تنظر إلى المعاق نظرة سلبية تقوم على مفهوم "**العجز**"، لأن العجز فكرة جبرية معطلة، وهي تتعارض مع المنطق والعقل كما تتعارض مع كرامة الإنسان، ثم إنها لا تنطبق على هذه الفئة من الناس.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن تراثنا الإسلامي الخالد قد وردت فيه تسمية لهذه الفئة من الناس أرحب وأوسع وأكثر تفتحاً وإشراقاً، وهي تسميتهم "**أهل البلاء**" كما جاء في كتاب "أحكام السوق" ليحيى بن عمر الأندلسي (المتوفى سنة289هـ)، وهو تعبير كريم لطيف حسن وأدق دلالة.

والشريعة الإسلامية في موقفها ونظرتها إلى هذه الفئة من الناس لا ترى أن فقدان الإنسان لعضو من جسده أو احتياجه إلى غيره يعد بالضرورة فقداناً للوظيفة الاجتماعية الحياتية بالكامل. ونحن نعرف اليوم أنه في حالة فقدان أو عطب عضو أو جزء ما في الجسد فإنه يقوم بوظيفته جزء آخر في كثير من الأحيان، كما لو تعطلت إحدى الكليتين في الجسد فإن الأخرى تضاعف عملها بإذن الله تعالى للتعويض عن المعطوبة.

فالإسلام رغم أنه يطالب المؤمن بأن يكون قوياً "**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير**"، كما أخبرنا بذلك الصادق الأمين عليه الصلاة والسلام، إلا أنه لا ينظر إلى الإنسان (سواءً كان معوقاً أو غير معوق) من خلال فقدان عضو أو قدرة أو ملكة، بل ينظر إليه نظرة شمولية متكاملة وقائية متسقة تضع في الاعتبار الأول تأدية المرء لوظائفه ومسئولياته ضمن التصور الإسلامي الكلي لعلاقة الفرد بالألوهية والكون والحياة والإنسان.

ومن هنا فإن الإسلام يقيس الإعاقة بأبعادها الذاتية والاجتماعية معاً. فكل فرد في المجتمع مكلف بواجبات وله حقوق حسب موقعه في التصور الإسلامي؛ فالأعرج والمريض وغيرهما كلٌ مطالبٌ بمسئوليات ووظائف تتفق مع طبيعته في الصورة الكلية وتختلف عن سواها عند غيره، قال تعالى: "**ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج**" (سورة النور، الآية 61). ورب قائل يقول بأن الله تعالى قد استثنى هاتين الفئتين من بعض المسئوليات بسبب وجود علة لديهما. والرد على هذا يتمثل في أن شرع الله يطلب من فئات خلقه مستويات مختلفة من المسئوليات والأداء حسب طبيعة هذه الفئة وقدرتها التي أودعها الله فيها وموقعها في الصورة الكلية للوجود لا أكثر ولا أقل. تماماً كما يقرر سبحانه أن يكون نصيب الأنثى في الميراث نصف نصيب الذكر، وأن تكون شهادة امرأتين مساوية لشهادة رجل، ليس لأن المرأة معوقة والرجل

خالٍ من الإعاقة، ولكن تمشياً مع قوله سبحانه: "**لا يكلف الله نفساً إلا وسعها**" (سورة البقرة، الآية 286) وقوله: "**لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها**" (سورة الطلاق، الآية 7). فإن جميع الناس الذين هم غير قادرين في ناحية معينة ليسوا معاقين في نواحي كثيرة أخرى، لأنهم قادرون على أداء مهنة أخرى. وهذا ما يتفق مع روح التشريع الإسلامي للأحكام حيث راعى القدرات والإمكانات الكامنة للمكلف، فلم يكلفه فوق طاقته، ولم يعتبره عالة على غيره، ولم ينظر إليه على أنه عاجز مطلقاً؛ بل فتح له المجال في الحياة وفق ما يستطيع من الأعمال وما يتناسب مع قدرته.

هذا هو الفهم الواضح لروح الإسلام ونظرته إلى الإعاقة وقضاياها، بعيداً عن مفهوم الطبقية والاقتدار والتمكن والأفضلية. فالله ﷻ لا ينظر إلى صورنا وأشكالنا ولكن ينظر إلى قلوبنا وأعمالنا، كما أخبرنا بذلك رسولنا الصادق الأمين ﷺ حيث قال: "**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**" (صحيح مسلم).

فهذه نظرة الشريعة الإسلامية إلى المعاقين من الناحية النظرية والفكرية والتشريعية، وهي أصل وأساس النظرة التطبيقية الواقعية، حيث لم يختلف الواقع الإسلامي المعاش عن هذا التصور النظري الفكري. فلقد احتل المعاق في الحياة الإسلامية مكانته اللائقة، فهذا عبد الله بن أم مكتوم ﷺ – الرجل الأعمى – قد أثبت الله عتابه لرسوله ﷺ بسببه في آيات بينات من الكتاب العزيز، حيث يقول سبحانه: "**عبس وتولى. أن جاءه الأعمى. وما يدريك لعله يزّكى. أو يذّكر فتنفعه الذكرى**" (سورة عبس، الآيات1–4).

ثم نجد رسول الله ﷺ يستخلف عبد الله بن أم مكتوم وينيبه عنه ﷺ على المدينة أربع عشرة مرة في غزواته وفي حجة الوداع. كما شهد هذا الصحابي الجليل فتح القادسية وقتل فيها شهيداً، وكان معه اللواء يومئذٍ، وهو الرجل الأعمى، فلم تنقص إعاقته من مكانته وأهميته في الإسلام شيئاً.

وهذا صحابي آخر هو معاذ بن جبل ﷺ يختاره الرسول ﷺ من بين المسلمين ويرسله إلى اليمن عاملاً له عليها، بل ويكتب إلى أهلها قائلاً: "**إني بعثت عليكم خير أهلي**". ولقد كان معاذ ﷺ أعرجاً، فلم يمنعه العرج من تبوّء المكانة التي يستحقها في الحياة السياسية والاجتماعية الإسلامية.

ولم يقتصر هذا السلوك من الاحترام والتقدير للمعاق على عصر النبوة، بل تعداه إلى سائر عصور الإسلام. فهذا الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان بن الحكم يأمر المنادي في موسم الحج ألا يفتي الناسَ إلا عطاءُ بن أبي رباح إمام أهل مكة وعالمها وفقيهها. وقد كان عطاء ﷺ أسود البشرة، مفلفل الشعر، أعور العين، أفطس الأنف، أشل اليد، أعرج القدم، لا يؤمِّل الناظر إليه منه طائلاً. لكن شريعتنا السمحة الغراء

وحضارتنا الإسلامية الإنسانية جعلته إنساناً عالماً إماماً يرجع إليه الناس في الفتوى، ومدرسة يتخرج على يده الألوف من العلماء، وهو عندهم في محل الإكبار والحب والتقدير والاحترام.

ومن ناحية أخرى فإن المتأمل في تاريخنا العلمي الإسلامي يجد قبيلاً كبيراً من العلماء الذين أصبحت إعاقتهم أو عاهتهم عَلَماً يدل عليهم، ونذكر من بين هؤلاء العلماء:

1- الأحول: هو عاصم بن سليمان البصري (توفي 142هـ) من حفاظ الحديث ثقة، واشتهر بالزهد والعبادة.

2- الأخفش: وقد سمي بهذا الاسم من أهل العلم أربعة هم: الأخفش الأكبر والأوسط والأصغر والدمشقي. أما الأكبر فهو عبد الحميد بن عبد المجيد (توفي 177هـ) من كبار علماء اللغة العربية. وأما الأوسط فهو سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء (توفي 215 هـ) وكان عالماً باللغة والأدب، أخذ العلم عن سيبويه وصنف كتباً مهمة وزاد في العروض بحر الخبب. وأما الأصغر فهو علي بن سليمان بن الفضل (توفي 315هـ) أحد علماء النحو، وله تصانيف عديدة. وأما الدمشقي فهو هارون بن موسى بن شريك التغلبي (توفي 292هـ) شيخ القراء بدمشق. كان عارفاً بالتفسير والمعاني والغريب والشعر.

3- الأصم: وقد سمي بهذا الاسم من أهل العلم اثنان هما: حاتم بن عنوان (توفي 237هـ) الذي اشتهر بالورع والزهد والتقشف، وكان يقال: حاتم الأصم لقمان هذه الأمة. والثاني هو محمد بن يعقوب بن يوسف الأموي ولقب بالولاء أبو العباس الأصم (توفي 346هـ) وكان من أهل الحديث وكان ثقة أميناً.

4- الأعرج: هو عبد الرحمن بن هرمز (توفي 117هـ) من موالي بني هاشم، حافظ قارئ أخذ عن أبي هريرة وبرز في القرآن والسنن، وكان وافر العلم، خبيراً بأنساب العرب.

5- الأعمش: هو سليمان بن مهران الأسدي بالولاء (توفي 148هـ) تابعي مشهور، وكان عالماً بالقرآن والحديث والفرائض حتى أنه قيل: لم ير السلاطين والملوك في مجلس أحقر منهم في مجلس الأعمش، على الرغم من شدة حاجته وفقره.

6- الأعمى: هو معاوية بن سفيان (توفي 220هـ) شاعر بغدادي من تلاميذ الكسائي.

7- الأفطس: هو علي بن الحسن الهذلي (توفي 253هـ) محدث نيسابور وشيخ عصره فيها، وكان من حفاظ الحديث، وله مُسند.

لقد بلغ هؤلاء العلماء في تاريخنا العلمي والفكري مكانة عظيمة حسبهم فيها أن نور عبقريتهم لم يطفئه كر السنين ولا جهل أحفادهم بهم. وإننا لم نختر هؤلاء الأعلام إلا لأن عاهتهم وإعاقتهم أصبحت علماً على ذواتهم. أما الذين كانوا يحملون في أجسامهم من البلاء ما يثقل على غيرهم من الأصحاء ومع ذلك بلغوا الغاية في العلم والفكر فهم كثير.

بعض مبادئ الإسلام في النظر إلى ذوي الاحتياجات الخاصة

مناط العمل الخلقي لدى الإنسان هو المسئولية الخلقية التي من شروطها الإرادة الحرة التي تجعل الإنسان يقدم على الفعل أو يمتنع عنه، وهو بكامل قصده وحريته واختياره، والعقل السليم والوعي الكامل اللذان يمكنان الإنسان من التمييز بين الأشياء والأفعال ومن الاختيار الحكيم من بين البدائل المتعددة الممكنة للسلوك والتصرف، والقدرة العقلية والعاطفية والبدنية التي تمكن الإنسان من القيام بالفعل المرغوب خليقاً إذا أراده، والاعتقاد الجازم والقيام بالفعل حسب هذا الاعتقاد، وهذه هي الشروط التي توجد المسئولية بوجودها، وتنتفي كلياً أو جزئياً بانتفائها.

وفي ضوء هذه الشروط فإنه لا مسئولية مع عدم القصد، ولا مع الجبر والإكراه على الفعل، ولا مع الجنون أو فقدان الوعي أو التمييز أو الضعف العقلي، ولا مع العجز البدني أو العقلي أو النفسي. وبتوافر هذه الشروط تتحقق المسئولية الخلقية ويصبح الإنسان مسئولاً عن عمله وتصرفاته.

إن هذه الشروط تمثل المبادئ العامة للإسلام نحو المجتمع بصفة عامة، ونحو ذوي الاحتياجات الخاصة على وجه الخصوص. فالإسلام يرفع التكليف والمسئولية والحساب عن كل من لا يستطيع القيام بالتكاليف التي شرعها الإسلام والتي أنزلها الله ﷻ حين حدد ذلك على وجه الخصوص وبشكل دقيق غاية الدقة، إذ يقول تعالى وقوله الحق: "**لا يكلف الله نفساً إلا وسعها**" (سورة البقرة، الآية 286). إن هذا القول الرباني العظيم يعني أن التكليف يكون على من يستطيع، ويكون على قدر السعة والوسع، وعلى قدر الطاقة والقدرة التي أودعها الله في عباده. وعلى هذا فإن الله ﷻ لا يحاسب مع عدم القصد المريض كما يحاسب صحيح البنية، ولا يحاسب الأعرج كما يحاسب سليم الرجلين، ولا يحاسب المصروع أو المجنون كما يحاسب سليم العقل.

رعاية المعاقين في الإسلام

لقد بلغت رعاية الإسلام للمعاقين حداً بالغاً من السمو والرفعة، وسوف نبين فيما يلي ما قام بـــه الإســـلام وحث عليه في نظمه الهادفة إلى رفع أسباب الإعاقة والأمراض بعد وقوعها:

كلنا نتذكر قصة الصحابي الجليل عبد الله ابن أم مكتوم الذي نزلت من أجله الآيـــات الكريمـــة: "**عـــبس وتولى. أن جاءه الأعمى. وما يدريك لعله يزّكى. أو يذّكر فتنفعه الذكرى**" (سورة عبس، الآيات1-4) ففي هذه الآيات عاتب الله ﷻ نبيه محمد ﷺ وهو أفضل خلقه، النموذج الفريد في الرحمة والرأفة والإنسانية وغير ذلك من الصفات التي أكدها القرآن الكريم، قال تعالى: "**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم**" (سورة التوبة، الآية 128).

ومنذ ذلك التاريخ أصبح تقدير واحترام المعاقين توجهاً إسلامياً وقيمة دينية كبـــرى حظـــي فـــي ظلالهـــا المعاقون بكل مساندة ودعم، حتى وصل الأمر ببعض المعاقين إلى درجات كبيرة من العلم والمجد والنبوغ.

إن الإنسانية لم تعرف الاهتمام بالمعاقين كما عرفته حضارتنا العربية الإسلامية، فإننا نجد ذلك في تراثنـــا واضح المعالم. وأخبار المعاقين النابغين كثيرة في كتب التاريخ والتراجم ولا تحصى.

حكم العناية بالمعاقين في الإسلام

العناية بالمعاقين والقيام بأمرهم من فروض الكفاية على الأمة إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين وإذا لم يقم به أحد كان الجميع آثمين.

فكفالة العميان والصم والمشلولين وسائر المعاقين واجب على مجموع الأمة، كما هو واجبهم نحو الفقـــراء والمساكين والمعوزين. فكما يجب على الأمة والجماعة سد حاجات هؤلاء يجب عليها كذلك سد حاجـــات ذوي هذه العاهات وإلا كان الجميع آثمين.

ولا شك أن واجب العناية بكل فرد منهم يقع أولاً على من أناط به الإسلام كفالته، وهم الأصول والفروع. فالآباء كافلون لأبنائهم لأنهم فروعهم، والأبناء كافلون لآبائهم لأنهم أصولهم. والأقارب والأرحام يجب أن يكفل بعضهم بعضاً، فكما يتوارثون فإنهم يتكافلون. وعلى كل مسلم أن يقوم بما أوجبه الله عليه في ذلـــك، ويجـــب على الأمة والجماعة المسلمة مساعدة كافل العاجز والقائم بشأنه، وخاصة إذا عجز عن كفالته والقيـــام بـــشأنه، لاسيما أولئك الذين يحتاجون ويعتمدون في كل شئونهم على غيرهم، كالمشلول شللاً كاملاً الذي يحتـــاج إلـــى غيره في طعامه وشرابه وطهوره ولباسه وجميع شئونه، فإن عبء هذا عظيم وثقله كبير على من حوله.

وفيما يلي تذكير بأهم القواعد والمبادئ التي وضعها الإسلام لرعاية وحفظ المعاقين:

1- الرعاية الصحية والطبية للمعاقين:

إن الإسلام يأمرنا ويحضنا على التداوي كما هو معروف، يقول رسول الله ﷺ: "**تداووا عباد الله، فإن الله لم يضع داءً إلا وضع معه شفاءً**" (أخرجه أحمد وابن ماجة في كتاب "الطب بما أنزل الله"). وقد تحقق الرعاية الطبية للمعاقين المعجزات؛ فقد يتم شفاؤهم إن أخذنا بأسباب العلاج التي وضعها الله تعالى في كونه وهدى إليها عقول خلقه، يقول الله تعالى: "**وإذا مرضت فهو يشفين**" (سورة الشعراء، الآية 80).

2- الرعاية النفسية والأدبية:

إن الاعتبار الأدبي موفور في الإسلام من خلال قواعده العامة الشاملة ومن خلال مبادئ أخرى خاصة. أما من الناحية الأولى فإنها متمثلة فيما أمر به الإسلام من إنزال الناس منازلهم تبعاً لما يتصفون به من تقوى وإتقان، وهو مفاد قوله تعالى: "**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**" (سورة الحجرات، الآية 13)، وقول رسول الله ﷺ: "**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**" (أخرجه مسلم). ولقد حرم الإسلام كل ما يخل بتكريم الإنسان الذي جعله الله مكرماً في آدميته. وجعل السخرية أو الاستهزاء به أو لمزه بالقول من المحرمات والكبائر بأي وسيلة كان ذلك، قال تعالى: "**يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن حيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب**" (سورة الحجرات، الآية 11)، فقد نهى القرآن نهياً عاماً عن أن تتخذ العيوب الخلقية سبباً للتندر أو العيب أو الانتقاص أو التقليل من شأن أصحابها. كما حرم إظهار الشماتة بذوي الابتلاءات، كما جاء في الحديث الشريف: "**لا تظهر الشماتة لأخيك فيعافيه الله ويبتليك**" (أخرجه الترمذي).

كما يجب أن يعطى المعاق حقه كاملاً في المساواة بغيره ليحيا حياة كريمة فلا يفضل عليه أحد مهما كان مركزه الاجتماعي، كما نبه به ﷻ نبيه: "**عبس وتولى. أن جاءه الأعمى. وما يدريك لعله يزَّكى. أو يذَّكر فتنفعه الذكرى**" (سورة عبس، الآيات1-4).

3- الرعاية العقلية والتعليمية:

إن في سيرة نبينا محمد ﷺ والصحابة والتابعين، وفي تاريخنا العربي الإسلامي نماذج وأمثلة بارزة ومضيئة تعبر عن روح التضامن والتكافل وتوفير الرعاية العقلية والتعليمية لهذه الفئة من أبناء المجتمع. ولم تكن رعاية المعاقين وسيلة للتقرب إلى الله عز وجل فحسب بل كانت واجباً اجتماعياً والتزاماً دينياً ومسئولية من جانب الدولة نحو رعاياها، المسلمين وغير المسلمين على السواء.

إن المعاق ،مهما كانت درجة ونوعية إعاقته، يمكن تعليمه والرفع من قدراته العقلية. لذا يجب أن يعلم أولياء المعاقين أن باستطاعة أطفالهم المعاقين أن يتعلموا، وأن يتوقعوا منهم أن يتطوروا بفضل التعليم والتدريب المناسبين. ولا يجوز بأي حال من الأحوال أن تكون الإعاقة سبباً يحول دون تمكن المعاق من الحصول على التعليم المناسب له.

4- **التخفيف عن المعاقين في الالتزامات الشرعية بقدر طاقاتهم:**

من أدلة رعاية الإسلام للمعاقين أنه خفف عنهم في بعض الالتزامات الشرعية على قدر طاقاتهم، يقول تعالى: "**ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج**" (سورة النور، الآية 61). يقول الإمام القرطبي: إن الله رفع الحرج عن الأعمى فيما يتعلق بالتكليف الذي يشترط فيه البصر، وعن الأعرج كذلك بالنسبة لما يشترط فيه المشي وما يتعذر من الأفعال مع وجود العرج، وعن المريض فيما يؤثر المرض في إسقاطه، في تلك الحال، لأيام أخر أو لبديل آخر؛ أو الإعفاء من بعض شروط العبادة وأركانها كما في صلاة المريض ونحوه. فالحرج مرفوع عنهم في كل ما يضطرهم إليه العذر فيحملهم على الأنقص مع نيتهم على الأكمل[3].

إن حكمة الله ورحمته بعباده اقتضت اختلاف النظرة إلى بعض الفئات: فإما أن يكون الموقف منها هو الإعفاء المطلق من المسئولية والتكاليف، كما في قوله ﷺ: "**رفع القلم عن ثلاث: عن النائم حتى يقوم والصبي حتى يبلغ، والمجنون حتى يفيق**" (أخرجه الخمسة: أبو داود، ابن ماجة، النسائي، الترمذي، وأحمد)، وإما أن يكون الموقف منها بالتخفيف من المسئولية وإيجاد الرخصة المبيحة أو المسقطة في بعض الأمور التي تجب على الآخرين بأصل التكليف وهو ما نجده في بقية المعاقين كل بحسب صورة العائق ومداه[4].

5- **الكفاية المعيشية للمعاقين وحفظ أموالهم:**

النفقة وتحصيل الكفاية المعيشية للمعاق واجبة على وليه، ولا يجوز له الهروب من هذه المسئولية. وقد يكون للمعاق مال فيجب حفظ ماله وتنميته واستثماره له إن أمكن ولا يجوز تبديده أو إنفاقه دون وجه حق، قال تعالى: "**ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولاً معروفاً**" (سورة النساء، الآية 5).

فعلى كل من له ولاية أو قوامة على أحد المحتاجين للرعاية ألا يوقع أي تصرف في نفس أو مال من تحت ولايته إلا إذا كان هذا التصرف مصلحة ظاهرة؛ لأن التصرف بحكم الولاية منوط بالمصلحة[4].

بعض نماذج معاملة ورعاية المعاقين في الإسلام

إذا كان الإسلام قد شمل ذوي الاحتياجات الخاصة بالأهمية والرعاية، إلا أنه لم يسكت عن بعض الفئات، مثل المكفوفين والعرج والمتخلفين عقلياً والمصروعين. ولقد قال رسول الله ﷺ "**ترك السلام على الضرير خيانة**". فقد ألزم الإسلام رد السلام على الضرير الذي لا يرى ما يدور حوله، وهو أدب يُلزم المبصرَ ألا يتجاهل أخاه المسلم المكفوف. وفي هذا يرى بعض العلماء أن الحديث لا يقتصر على السلام فقط بل يشير إجمالاً إلى خطورة إهمال المبصر لحق الكفيف. إنه حق أوجبه الله للكفيف، فياله من تقدير لهذه الفئة من فئات ذوي الاحتياجات الخاصة.

وقد سار المسلمون على الدرب، بداية من الخلفاء الراشدين ومن تلاهم، فلم يهملوهم، ولم تكن نظرتهم لهم على أنهم دونهم وأنهم لا مكانة لهم بينهم. والتاريخ الإسلامي حافل بمواقف عظيمة وتربية كريمة، لأناس كانوا في عصور سابقة يلقون الاحتقار والإهمال.

فها هو عمر بن الخطاب ﷺ، والذي قال عنه رسول الله ﷺ: "**لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب**"، ها هو يخرج يوماً فإذا هو بشيخ يهودي ضرير يسأل على الأبواب فيسأله عمر: ما ألجأك إلى ما أرى؟ فيقول الرجل اليهودي: الجزية والحاجة والسن. وهنا تتحرك المشاعر الإسلامية الإنسانية العامرة عند عمر ﷺ، فيقود الرجل الضرير حتى يصل به إلى بيته، ويضفى عليه من كرمه وعطفه، وأمر بصدقة له من بيت المال تكفيه. ويقول لخازن بيت المال: انظر هذا وضرباءه، فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته ثم نخزه عند الهرم.

إن عمر يعلم عداوة اليهود للمسلمين وحقدهم المرير على الإسلام وفتنتهم السوداء بين الناس، ومع ذلك لم تمنعه إنسانيته ولا إسلامه من الأخذ بيد هذا الضرير ومنحه ما يصون له إنسانيته ويحفظ عليه آدميته وينأى به عن ذل السؤال. ولم يدفعه لذلك مشاركة في دين أو جنس أو نسب أو حسب، وإنما دفعته روح الإسلام السامية التي صهرت المجتمع الإنساني كله في بوتقة واحدة فجعلت كل بني الإنسان سواسية لا يتفاضلون إلا بالتقوى والعمل الصالح.

وها هو علي بن أبي طالب ﷺ يقول وهو يوصي الأشتر النخعي الذي وصف بأنه من أبرز قادة جيشه: أشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم. ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً فتغتنم أكلهم؛ فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق. أنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوىً من رعيتك. ثم اللهَ اللهَ في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين وأهل البؤس (شدة الفقر) والزَمنَى (أصحاب الأمراض المزمنة والعاهات) فإن في هذه الطبقة قانعاً (سائلاً) ومعترًّا (متعرضاً للعطاء بلا سؤال). واحفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم. واجعل لهم قسماً من بيت مالك، وقسماً من غلات ضواحي

الإسلام (الأرض التي استصفاها المسلمون عند الفتح لبيت المال، وكانت في الغالب مملوكة للملوك أو لكبار القادة الذين بادوا أو هربوا ولم يدخلوا الإسلام) في كل بلد؛ فإن للقاصي منهم مثل الداني، وكلٌ قد استُرعِيتَ حقه. فلا يشغلك عنهم بطر (طغيان بالنعمة)، ولا تفقد أمور من لا يصل إليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال؛ ففرِّغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع فليرفع إليك أمرَهم.

إن هذه الوصية تؤكد بكل ما جاء فيها على أن الإسلام ما ترك كبيرة ولا صغيرة تخص الإنسان إلا وأكد على احترامه وعلى آدميته وتقديره فيها، لا فرق بين قوي وضعيف، وفقير وغني، وسليم ومريض. إنه الدين الذي رفع عن الإنسان عبودية ورق الماضي السحيق، خصوصاً لذوي الحاجات الخاصة.

وبعد عمر وعلي (رضي الله عنهما) نشير على سبيل المثال لا الحصر إلى ما يؤكد على أن الإسلام والمسلمين لم يقصروا في حق هذه الفئات. فها هو عمر بن عبد العزيز، الذي يقال عنه إنه خامس الخلفاء الراشدين لعدله وحكمته وتشبهه بأخلاق الخلفاء السابقين، ها هو يوجه عظيم رعايته لذوي الحاجات الخاصة. ولقد بلغ من اهتمامه بهذه الفئات أنه أمر بعمل إحصاء للمعاقين وخصص مرافقاً لكل كفيف وخادماً لكل مقعد لا يقوى على القيام أو أداء الصلاة واقفاً.

وحتى سلاطين مصر في العهد المملوكي لم يهملوا رعاية المرضى والمعاقين، بل أنشأوا المستشفيات، مثلما فعل السلطان قلاوون الذي أنشأ البيمارستان والذي ما زالت بقاياه موجودة حتى الآن تحمل اسم "مستشفى قلاوون". وكان المريض يلقى الرعاية والاهتمام مدة وجوده بالمستشفى تحت إشراف السلطان نفسه، ويعطى المريض بعد خروجه بعض المال حتى لا يضطر للعمل في فترة نقاهته.

ولقد أسهم العلماء المسلمون، مثل ابن مسكويه وابن حزم وابن خلدون وغيرهم في الاهتمام بالمعاقين وأوضحوا أهمية دور الأسرة في الوقاية المبكرة من الإعاقة وأهمية مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين، فكان لهم السبق في رعاية هؤلاء المعاقين بدمجهم في البيئة مع أقرانهم العاديين، مما أسهم في تكيفهم وتوافقهم مع المجتمع. ولقد عرف المسلمون – قبل غيرهم – الكثير من الأمراض النفسية والعقلية فكان لهم السبق في استخدام العلاج النفسي في علاجها، وإنشاء مستشفيات الطب النفسي. وبرز في هذا المجال أطباء كثيرون من أمثال ابن سينا والرازي وغيرهم.

وفي الختام يجدر بنا أن نقول إنه ليس غريباً أن يكون الإسلام أول نظام ظهر على الأرض يهدف إلى تحقيق المجتمع الإنساني والسمو به، بل إنه النظام الوحيد الذي صنع ذلك وطبقه بلا حدود تتصل بالجنس أو اللون أو القبيلة أو الدولة أو الأمة. إنه نظام يرتقي فوق كل هذه الحدود، ويمزق السدود والقيود التي صنعها بنو الإنسان بين أنفسهم، ويأخذهم برحمته إلى مجتمع الوحدة والتآلف والمحبة.

النظرة إلى المعاق في الدين المسيحي

الدين المسيحي مثله مثل باقي الأديان اهتم بالمعاقين. ونجد أن كثيراً من أسفار الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ذكرت ذلك. فالله تبارك وتعالى خلق الإنسان كاملاً من جهة قدراته الذهنية والعقلية وأيضاً الجسدية ولكن سمح أن يوجد لأسباب متعددة أشخاص معاقون لحكمة نعجز عن إدراكها إدراكاً كاملاً.

إن مبادئ الدين المسيحي تؤكد على وجوب قبول المعاقين كأشخاص لهم الحق في الحياة الطبيعية وليس كمجرد مجموعة هامشية في المجتمع وذلك بتوفير الإمكانيات التي تمكنهم من الاعتماد على أنفسهم وتزيل من داخلهم الشعور بأنهم عالة على الآخرين. كما تؤكد على وجوب توفير فرص عمل للمعاقين وتأهيلهم مهنياً للمهن التي تناسب حالة كل منهم، وفي هذا المجال نجد أن القيادة الدينية تقف بجانب القيادة السياسية فتعمل على فتح مراكز التأهيل المختلفة واختيار عدد من المعاقين لإلحاقهم بمراكز تحفيظ الألحان ليعملوا كمرتلين في الكنائس. ولا يقتصر الاهتمام على توفير العمل للمعاقين جسدياً فقط بل يمتد ليشمل المعاقين ذهنياً، وخاصة الحالات البسيطة، وذلك بتأهيلهم لأعمال يدوية لا تحتاج إلى جهد ذهني، وتؤكد أن العمل بالنسبة للمعاقين يمثل أهمية نفسية واجتماعية واقتصادية كما يساعدهم على مواجهة الكثير من المشاكل ويبعدهم عن الانحراف وارتكاب سلوكيات مشينة، مثل الإدمان والسرقة وغيرها. وكما تقول الحكمة "الوقاية خير من العلاج"، لذا يجب دراسة أسباب الإعاقة وكيف يمكن تفاديها مع الأشخاص الآخرين، مثل شلل الأطفال والأمراض الوراثية وفقدان البصر بسبب الإهمال في علاج العيون في الريف. وأسر المعاقين تحتاج إلى رعاية خاصة، والكنيسة تنشئ مكاتب للإرشاد وتوفير المعلومات للأسر عن رعاية أبنائهم المعاقين حسب نوع الإعاقة.

رعاية المعاقين في المسيحية

نزل الدين المسيحي وسار على المنهج الروحي السمح الذي نزل به الدين اليهودي، واتجهت رسالة المسيح عليه السلام إلى تطهير البشر من كل الرذائل ومحاربة المادية البشعة التي أدت إلى تفاوت طبقي مشين وعودة إلى مظاهر التخلف والانحراف التي كانت تسود قبل نزول الأديان السماوية. وجاهد المسيح عليه السلام وحواريوه لكي تعود للبشرية قيمها الروحية، وتعود التعاليم والمبادئ السمحة ليعم العدل وينتشر الإخاء ويعيش الناس في سلام[5]. وقد حافظت المسيحية على كل أوجه الرعاية التي جاءت بها اليهودية، وغيرت في نظام العشور فأصبحت حقاً مشروعاً للفقير في الثروة بعد أن كانت وصية فقط، وذلك عن طريق الصدقة التي أصبحت ركناً من أركان العبادة المسيحية. كما زخرت تعاليمها بكل ما يتعلق برعاية الأرامل والأيتام والمرضى وذوي العاهات. وتخصص كثير من رجال الدين المسيحي في الطب. وقد كان لوقا، وهو أحد الحواريين، طبيباً. وكان لذوي العاهات حظ وافر من الرعاية، حيث يقول بطرس الرسول: "**اسندوا الضعفاء**". واهتم أحد الرهبان المصريين – وكان مكفوفاً – بالمكفوفين وتأهيلهم، وهو أول من أنشأ قسم المرتلين بالكنيسة وجعله وقفاً على المكفوفين يحفظون الأناشيد الكنائسية عن ظهر قلب[6]. وعلى مر التاريخ كان رجال الدين المسيحي يوصون بمعاملة المرضى والمعوقين بروح الأخوة، ومن بينهم يوحنا خريستوم والقديس جيروم والقديس جريجوري[7].

1- الرعاية الروحية:

من بين ما يحث عليه الدين المسيحي الرعاية الروحية للمعاقين. فالمعاق يحتاج إلى الرعاية الروحية مثل أي مؤمن عليه أن يجاهد في حياته ويضبط نفسه ويمارس الممارسات الروحية المتعددة حتى يتأهل لملكوت السموات. وقد يجد المعاق صعوبة في بعض الممارسات الروحية، لذلك فإن الكنيسة تكون مسئولة عن تقديم الرعاية الروحية للمعاقين بطريقة تناسبهم. فالمكفوفين مثلاً في حاجة إلى الكتاب المقدس والتعاليم الروحية، فتقدم لهم الكنيسة الكتاب المقدس مسجلاً، أو مكتوباً بطريقة برايل، كما تقوم بتنظيم خدمة تطوعية لزيارة المكفوفين وقراءة الكتاب المقدس لهم والكتب الروحية.

والصم والبكم أيضاً في حاجة إلى الاستمتاع بالقداس الإلهي وإدراك معانيه السامية. لذلك فإن قيام أحد الخدام بتقديم كلمات القداس والعظة بلغة الإشارة التي يفهمها الصم والبكم أمر هام لرعايتهم روحياً.

ونود أن نذكر أن أحد الخدام الإكليركيين قد تخصص في هذه الخدمة، وكان يهتم بالصم والبكم ويقدم لهم ترجمة قداسات الأعياد بالكاتدرائية المرقسية بلغة الإشارة. ولقد رسمه قداسة البابا شنودة كاهناً لرعاية الصم والبكم، وهو بذلك يعتبر أول كاهن يرسم خصيصاً لرعاية فئة من المعاقين، الأمر الذي يعبر عن مدى اهتمام الكنيسة القبطية بتقديم الرعاية الروحية لأبنائها المعاقين وخاصة من جهة خدمة الكهنوت. ففي هذه

الحالة يستطيع الصم والبكم ممارسة سر الاعتراف مع الكاهن حيث يجيد الكاهن التفاهم والحديث معهم بطريقة سهلة.

والمعاقون الذين يستخدمون الكراسي المتحركة يحتاجون إلى تنظيم حضورهم إلى الكنيسة في مجتمع يعاني من أزمة المواصلات ويجد الشخص السليم صعوبة في استخدام المواصلات العامة. ونتمنى أن يراعى في المباني توفير ممرات خاصة لتسهيل حركة المعاقين على الكراسي المتحركة.

2- **عمل الرحمة:**

يحتاج المعاقون إلى قلوب مملوءة بالحنان والرحمة تعوضهم عما يعانونه في حياتهم. كما أن عمل الرحمة مع المعاقين له مكافأة عظيمة عند الله. وقد يأخذ عمل الرحمة مع المعاقين أشكالاً مختلفة، فيمكن تحقيق ذلك من خلال التعامل المباشر مع المعاقين ومساعدتهم وزيارتهم وتوفير احتياجاتهم ومراعاة مشاعرهم الرقيقة. كما يمكن عمل الرحمة معهم من خلال المساهمة بالمال أو بالعمل التطوعي، مثل الاشتراك في تنظيم حضور المعاقين إلى الكنيسة وتنظيم أنشطة مثل الرحلات والحفلات لهم وغير ذلك من الأنشطة التي تحتاج لجهود كثيرة.

3- **الحق في الحياة:**

يحث الدين المسيحي على قبول المعاقين كأشخاص لهم الحق في الحياة الطبيعية وليس كمجرد مجموعة هامشية في المجتمع. وانطلاقاً من هذا المبدأ فإن خدمة المعاقين تهدف إلى توفير الإمكانيات التي تمكنهم من الاعتماد على أنفسهم وتزيل من داخلهم الشعور بأنهم عالة على الآخرين.

ولتحقيق هذا الهدف توفر خدمة المعاقين الأجهزة التعويضية، والأطراف الصناعية، والكراسي المتحركة، والعصي الخاصة بالمكفوفين. وكلما تقدم المجتمع تقدمت خدمة المعاقين لتحقيق هذا الهدف. ونذكر هنا أنه في البلاد الأوربية وُجِد على رصيف محطة القطار شريط بارز ممتد حتى باب مركز خدمة المكفوفين، بحيث أن الكفيف يمكنه الذهاب بمفرده من محطة القطار إلى المركز بدون مساعدة أو سؤال أحد من الناس. كما أنه يوجد بالمركز مطبخ كامل مجهز بأجهزة صوتية تمكن الكفيف من الاعتماد على نفسه في الطهي وإعداد ما يلزمه من طعام وشراب في المطبخ.

4- تشغيل المعاقين:

ينظر الدين المسيحي إلى حق المعاق في العمل على أنه جزء من حقه في الحياة. وتهتم كثير من الدول – وبينهم بلادنا مصر – بتشغيل المعاقين، وذلك بتخصيص نسبة من عدد العاملين في المصالح والشركات والهيئات للمعاقين. ويتطلب الأمر توعية المعاقين حتى يستفيدوا من هذا الامتياز. ولكي يكون عمل المعاقين عملاً فعالاً ومنتجاً فلابد من تأهيلهم مهنياً للمهن التي تناسب حالة كل واحد منهم.

وينبغي ألا يقتصر الاهتمام على توفير العمل للمعاقين جسدياً فقط بل يمتد ليشمل المعاقين ذهنيا وخاصة الحالات البسيطة وذلك بتأهيلهم للقيام بأعمال يدوية لا تحتاج إلى جهد ذهني.

5- خدام المعاقين:

تحتاج خدمة المعاقين إلى نفوس باذلة تحب هذه النوعية من الخدمة، وتحتاج هذه النفوس إلى إعداد خاص، بل إن بعض الحالات في خدمة المعاقين تحتاج إلى دراسات خاصة مثل خدمة المعاقين ذهنياً والصم والبكم. وهناك حاجة لعمل دورات متخصصة لإعداد خدام المعاقين كخطوة أولى نحو إنشاء معهد متخصص لمجالات الخدمة المتعددة.

6- الوقاية من الإعاقة:

قد نهتم بخدمة المعاقين في مجالات مختلفة، وننسى دراسة أسباب بعض الأمراض الوراثية التي تسبب إعاقة جسدية أو ذهنية. ويجب إجراء محاولات لعلاج هذه الأمراض على اختلاف أنواعها، وعدم التراخي في ذلك، حيث يوجد كثير من حالات فقدان البصر خاصة في الأماكن الشعبية والريفية بسبب الإهمال في علاج أمراض العيون.

7- رعاية أسر المعاقين:

وجه الدين المسيحي رعاية خاصة لأسر المعاقين. فالأسرة التي لديها طفل معاق ذهنياً تحتاج إلى رعاية روحية لتقوية إيمانها وتحتاج إلى إرساء وتوعية في كيفية التعامل مع الطفل وكيفية المحافظة عليه عندما يصل إلى سن المراهقة، خاصة في حالات الفتيان. وقد تحتاج الأسرة إلى خدام لمساعدتها في رعاية الطفل المعاق. وهناك حاجة لعمل دورات تدريبية ولقاءات لأسر المعاقين، وإنشاء مكاتب للإرشاد وتوفير المعلومات للأسر عن رعاية أبنائهم المعاقين حسب نوع الإعاقة.

مبادئ رعاية المعاقين في اليهودية

إن اليهودية، أول الديانات المنزلة، على الرغم من أنها لم تنتشر تماماً كالدين المسيحي أو الإسلامي، إلا أنها جاءت بمبادئ كان لها أثرها الواضح في تغيير الاتجاه نحو الخير والقضاء على الشرور التي كانت سائدة منذ بدء التاريخ، لفساد النظم الاقتصادية والسياسية والطبقية التي كانت قائمة آنذاك. ولو رجعنا إلى مضمون بعض آيات التوراة التي نزلت على سيدنا موسى عليه السلام يمكننا أن نستخلص بإيجاز بعض أهم مبادئ الرعاية الاجتماعية ومن ضمنها رعاية المرضى والمعاقين، التي أرساها الدين اليهودي.

نذكر من هذه المبادئ ما يلي:

- الاتحاد عماد الحياة الاجتماعية.
- الفرد يجب أن يحب لجاره ما يحب لنفسه.
- حياة الفرد هي أغلى شيء لديه وهي مرتبطة بحياة الجماعة فيجب المحافظة عليها ووقايتها من الشرور.
- ثروة الفرد ملك فيجب رعايتها وصرفها فيما يعود عليه وعلى الجماعة بالخير والرفاهية.
- العطف وحسن المعاملة من الأمور الواجبة على كل قادر، وهذه يجب أن تكون أساس الإحسان وهي أهم من المال نفسه.

وللتأكيد على التعامل بالإحسان مع المحتاجين أوجدت اليهودية نظام العشور (وهو تقديم عشر المحصول أو الثمار والخيرات لتوزع على الفقراء والأرامل والأيتام). كما جعل الدين اليهودي للمرضى وضعاً خاصاً لرعايتهم والاهتمام بالنظافة التي تقي من الأمراض. وعموماً فإن اليهودية جاءت بتعاليم ومبادئ طيبة شملت أغلب نواحي الحياة والعلاقات بين الناس، وأوصت بالعناية والرعاية لفئات كثيرة من الشعب، كالفقراء والأرامل والأيتام والمرضى والعمال، وبالكثير من الخدمات وأشكال الرعاية المختلفة الصحية والتعليمية ونظام الحكم والقضاء، مما اعتبر فتحاً جديداً في تقديم الرعاية لمستحقيها.

نظرة على معاملة المعاقين في ظل التشريعات الوضعية

إن التشريعات الوضعية نظرت إلى المعاقين على أنهم ذوو نقص، وأنهم دونهم. من أجل ذلك نـــراهم يعزلونهم في الملاجئ ودور الرعاية بعيداً عن الناس وكأنهم شرذمة لا قيمة لهم. بل إنه مما يندي له الجبـــين أنهم أباحوا في قوانينهم خصي الذكور واستئصال الرحم من النساء، بل أنكروا عليهم حقـــوقهم فـــي الـــزواج والإنجاب وتربية الأطفال. كما زعم المشرعون لهذه القوانين أن المتخلفين عقلياً منحطون ودون مستوى البشر وأن المجتمع من حقه أن يحمي نفسه من أذاهم بسن القوانين التي تحرم عليهم الزواج والإنجاب.

وعلى الرغم من كل التقدم في عصرنا الحديث فإنه – ومع الأسف – لا يزال هناك بعض المجتمعات التي ما زالت تنظر إلى ذوي الاحتياجات الخاصة نظرة متدنية. وأقل ما يمكن أن توصف به معـــاملتهم للمعـــاقين هو أنها لا تليق بسلوك الحيوانات التي لا تعقل، والتي لا يمكن أن تفعل ما يفعله الإنسان ببني جنسه.

لقد ثبت للعلماء أن الحيوانات لا يمكنها أن تفعل ما يفعله الإنسان العاقل الـــواعي، فالـــذئب الـــصحيح لا يهاجم ذئباً معاقاً جسدياً، وبالمثل يفعل الشمبانزي وأسماك القرش. أما على المستوى البشري فتعالوا نرى مـــا تفعله بعض القبائل بذوي الاحتياجات الخاصة في جهات متفرقة من العالم:

1) قبائل [الورينو] الهندية تتخلى عن المرضى والمعاقين أو تهجرهم أو تقتلهم.

2) قبائل [الكاجان] الأفريقية ترى أن كل ذي علة متصل بالأرواح الشريرة وأنها تسكنه، ولهذا لا يجرؤ أحـــد منهم على الاقتراب من أصحاب العلل أو العاهات،ويتجنبونهم تماماً.

3) قبائل [النافوجو] ترى أن المعاقين ما هم إلا مسوخ يجب السخرية منهم، وتطلق عليهم أسماء تهكمية.

4) قبائل [السماناجاز] أعلنت بوضوح أنه لابد من عزل أو قتل أي فرد من المعاقين مهما كانت حالة إعاقته.

5) قبائل [الديدي] في استراليا كانت تقوم بقتل الأطفال المشوهين والمعاقين.

المراجـــــع

1) "**جعلوني معوقاً ... ولكن**"، الصفحات (14،15). تأليف الدكتور حـــسام الـــدين محمـــود عـــزب، والدكتور سامي البجيرمي.

2) "**رعاية الطفل المعاق طبياً ونفسياً واجتماعياً**"، الصفحات (64،65). تأليف الدكتور أحمد الـــسعيد يونس والدكتور مصري عبد الحميد ضورة.

3) "**الجامع في أحكام القرآن**" للإمام القرطبي.

4) "**بحوث في الفقه الطبي**". الصفحات 224،231.

5) "**اشتراكية الإسلام**"، العدد (113)، الصفحات (27،34). تأليف مصطفى السباعي.

6) "**مقدمة في الخدمة الاجتماعية**"، الصفحات (18،16). تأليف عبد الفتاح عثمان وآخرين.

7) "**الخدمة الاجتماعية الطبية والتأهيل**"، الصفحات (7،10). تأليف عبد المنعم نور.